آلن ويتلي يقدم لمحة عن شخصية **ريتشارد لايارد**، الذي يؤمن بأن الهدف الأساسي للعلوم الاقتصادية هو تعظيم السعادة والرفاهية

حياة عامرة بالمحبة

بعد يوم واحد من الوقوف على خشبة المسرح إلى جوار الزعيم الروحي لمنطقة التبت «دالاي لاما»، لا يزال البروفيسور ريتشارد لايارد، الأستاذ بكلية لندن للاقتصاد، يشعر بالسعادة الغامرة. فالبروفيسور لايارد، مدير برنامج الرفاهية الإنسانية في مركز الأداء الاقتصادي بكلية لندن للاقتصاد، يكرس وقته لدراسة السعادة الإنسانية. لذا كان من الملائم تماما أن تكون علامات السعادة بادية عليه بعد أحداث اليوم السابق. فقد تحدث الرجلان في اجتماع حركة «العمل من أجل السعادة»، وهي حركة جماهيرية شارك لايارد في تأسيسها في عام ٢٠١٠ لتشجيع اتخاذ الإجراءات العملية لخلق مجتمعات أكثر سعادة واهتماما بالآخرين. والزعيم الروحي لإقليم التبت هو الراعي لهذه المجموعة. ويسترجع لايارد حديثه مع الدالاي لاما ويقول والابتسامة تعلو وجهه «سألت الدالاي لاما في نهاية لقائنا عما يكون الشيء الواحد الذي ينبغي أن نحرص على تنميته أكثر من أي شيء آخر، فقال إنه «القلب الدافئ، القلب الدافئ»».

وكان لايارد اقتصاديا متميزا في شؤون العمالة وقد مارس العمل في هذا المجال لفترة طويلة قبل أن يتحول اهتمامه نحو السعادة الإنسانية. ومن أهم ما اشتهر به دراسته البحثية في الثمانينات حول البطالة إلى جانب مناصرته القوية للسياسات الداعمة للعاطلين عن العمل بشرط السعي للعثور على عمل. وقد أصبح منهج «الانتقال من الرعاية الاجتماعية إلى العمل» شائعا في أنحاء من أوروبا القارية كما أصبح أحد المناهج الأساسية في البرنامج الاقتصادي لرئيس الوزراء البريطاني الأسبق «توني بلير».

الناس أولاً

«من المثير للاهتمام أن ترى كيف كان (لايارد) يتنقل من مجال إلى آخر طوال حياته العملية، لكن اهتمامه كان دائما منصبا على رفاهية الناس»، هكذا قال مارتين دوراند، كبير الإحصائيين في منظمة التعاون والتنمية في الميدان الاقتصادي في باريس. وأضاف قائلا «إن هذه الرغبة في تحسين السياسات وحياة الناس هي في صميم عمله في شتى المجالات: فالناس دائما في بؤرة اهتمامه».

وقد يرى المتشائمون أن أمنية الدالاي لاما في تنمية المشاعر القلبية الدافئة لا يمكنها أن تحجب برودة تراجع النمو العالمي والفقر المزمن في بلدان كثيرة. أليست اقتصاديات السعادة، التي لا يزال كثير من الاقتصاديين ينظرون إليها ببعض الشك، هي مجرد وسيلة لإرضاء الذات وتصرف الانتباه عن المهام الأكثر إلحاحا؟ لكن لايارد، على النقيض من ذلك، يذهب إلى أن دراسة ما يجعل الناس سعداء فيه إحياء لفكرة جيريمي بينثام، وآدم سميث، وغيرهما من مؤسسي علم الاقتصاد بضرورة تركيز السياسة العامة على تأمين أعلى درجات السعادة للمواطنين. وحول هذه الفكرة يقول البروفيسور لايارد، البالغ من العمر ٨١ عاما، في مقابلة مع مجلة التمويل والتنمية في مكتبه بكلية لندن للاقتصاد، إن «الفكرة الرئيسية في الحضارة الغربية منذ عصر التنوير في القرن الثامن عشر هي أن مقياس جودة أداء المجتمعات يتمثل في مدى سعادة المواطنين. لذلك فهي ليست بالفكرة الجديدة».

ولسوء الحظ، من وجهة نظر لايارد، لم يعد علم الاقتصاد يضع هذا الهدف في الحسبان إلى حد ما. فقد امتزجت نظرية تعظيم الخدمة أو السعادة بتعظيم الاستهلاك ومن بعده الدخل وإجمالي الناتج المحلي. وتتمثل مساهمة لايارد، وغيره من خبراء الاقتصاد، ومنهم آندرو أوزوالد من جامعة واروبك، في العمل على إعادة تأكيد أهمية العوامل الأخرى بخلاف الدخل التي تسهم في تحديد مدى السعادة.

وأوضح لايارد هذا الأمر في إحدى المحاضرات الثلاث التي ألقاها حول هذا الموضوع في كلية لندن للاقتصاد في عام ٢٠٠٣، حيث قال «لكي نتفهم كيفية تأثير الاقتصاد فعليا على مستوى الرفاهية في حياتنا، علينا أن نستخدم علم النفس وعلم الاقتصاد على السواء». وأضاف قائلا «إن إجمالي الناتج المحلي مقياس سيء للرفاهية». وكانت هذه المحاضرات هي النواة لكتاب لايارد الذي نشر في عام ٢٠٠٥ ودخل في عداد أكثر الكتب مبيعا وعنوانه: «السعادة: دروس من علم جديد» *(Happiness: Lessons from a New Science)*، حيث أعرب عن رأيه بأن هناك سبعة عوامل رئيسية تؤثر في مدى سعادتنا، التي تُعرَّف بأنها الاستمتاع بالحياة والشعور بإحساس رائع، وهي: علاقاتنا العائلية، والوضع المالي، والعمل، والمجتمع والأصدقاء، والصحة، والحرية الشخصية، والقيم الشخصية.

ويقول لايارد إنه إذا كانت معظم هذه المعايير تبدو ذاتية على نحو يدعو للشك فإنها في واقع الأمر ليست كذلك، فهي معايير قابلة للقياس. وقد أصبح لايارد موقنا من قدرته على تأليف هذا الكتاب بعد أن أوضح له عالم المخ والأعصاب «ريتشارد ديفيدسن» أن مقاييس نشاط المخ تتوافق بصفة مستمرة مع ما يقوله الناس عما يشعرون به. ويقول إن «هذا هو ما جعلني واثقا من ضرورة أن نأخذ على محمل الجد ما يقوله لنا الناس عندما يحدثوننا عن مشاعرهم».

مسار متعرج

دخل ريتشارد لايارد مجال الاقتصاد بطريقة غير مباشرة. فوالداه كانا من علماء النفس في مجال التحليل اليونغي، وبعد أن أتم دراسته المدرسية في كلية إيتون، حيث كان رئيسا للطلبة، التحق بجامعة كامبريدج حيث درس التاريخ. وكان طموحه أن يصبح مصلحا اجتماعيا. وفكر لايارد مليا في أن يحصل على التدريب اللازم ليصبح أخصائيا نفسيا لكنه تخصص في التدريس لكي يصبح معلما. ونتيجة لحصول لايارد على وظيفة باحث أول في «لجنة روبينز»، التي كان تقريرها الصادر في عام ١٩٦٣ مؤشرا لحدوث توسعة هائلة في التعليم العالي في بريطانيا، تلقى دعوة للمساعدة في إنشاء مركز للبحوث حول سياسة التعليم في «كلية لندن للاقتصاد». ويقول لايارد إنه لتحقيق هذا الأمر حصل على درجة الماجستير في الاقتصاد، من كلية لندن للاقتصاد، بالطبع. لذا لم يصبح لايارد اقتصاديا إلا وهو في الثلاثينات من عمره.

لكنه يقول إنه ليس من المنصف تماما وصفه بأنه اقتصادي بالصدفة. فمن ناحية، سبق أن فكر في دراسة هذه المادة في الجامعة. ويتذكر قائلا «إن علم الاقتصاد استهواني لنفس الأسباب التي أدركتها في فترة لاحقة من حياتي، لاعتقادي بأنه العلم الاجتماعي الوحيد المعني بالاختيار الرشيد للأولويات على أساس تأثيرها على السعادة الإنسانية».

ويذهب خبراء اقتصاد السعادة في جدلهم بأن الفقراء ينتفعون أكثر بكثير من الأغنياء نتيجة زيادة دولار في الدخل وهو ما يوحي بضرورة تركيز السياسة العامة على الحد من عدم المساواة — وهو

هناك شعور عام بالإحباط بأن النمو طويل الأجل لم يؤد إلى حياة أكثر سعادة وأقل توترا.

أحد أهداف لايارد طوال حياته العملية. ويفضل لايارد معدلات الضرائب الحدية المرتفعة تماما ويقف إلى جانب «بول كروغمان» في معارضة وجهة النظر القائلة بضرورة السياسات التقشفية لاستعادة الاقتصادات مثل الاقتصاد البريطاني عافيتها بعد الأزمة المالية العالمية الأخيرة. ولكن لايارد حريص على تأكيد عدم معارضته للنمو. فالنمو هو انعكاس للإبداع البشري والسعي المستمر لإيجاد طرق للقيام بالعمل بصورة أفضل. ويقول إن «هذا بالتأكيد ليس بوصفة طعام لمجتمع من آكلي زهرة اللوتس». ولكنه يضيف قائلا إن الأدلة المستقاة من الولايات المتحدة وألمانيا الغربية والتي تمتد حتى الخمسينات من القرن الماضي تبين أن زيادة الثروة لا تؤدي إلى زيادة الشعور بالرضا. ويعرب عن اعتقاده بأن هناك شعورا عاما بالإحباط بأن النمو طويل الأجل لم يؤد إلى حياة أكثر سعادة وأقل توترا. ويقول لايارد محذرا، «إنه ليس ضمانا لتحقيق السعادة، وينبغي أن نحرص على عدم التضحية بالكثير في سبيل تحقيق النمو الاقتصادي». ويقدم مثالا محددا على ذلك، وهو أن البنوك نجحت في إثبات حجتها بأن إلغاء القواعد التنظيمية كان مفيدا لتوفير فرص العمل وتحقيق النمو طويل الأجل، ولكن أسلوبها المتهور في الإقراض ساهم في حدوث الأزمة المالية في ٢٠٠٨–٢٠٠٩. وكانت النتيجة هي البطالة ومشاعر عدم اليقين، وهي من مسببات التعاسة. ويقول لايارد في هذا الشأن «لا ينبغي أن نضحي أبدا بالاستقرار الاقتصادي. فالأمن هو مطلب بالغ الأهمية للإنسانية».

وقد كان الشعور بالإحباط إزاء النمو كمقياس للسعادة مقصورا على مملكة بوتان في جبال الهملايا في سياق سعيها لتحقيق السعادة الوطنية الإجمالية. غير أن الأمر لم يعد كذلك. ففي أعقاب صدور كتاب لايارد عن السعادة، توصلت «لجنة ستيغليتز– سن – فيتوسي»، التي شكلها الرئيس الفرنسي السابق «نيكولا ساركوزي» بعد أزمة ٢٠٠٨–٢٠٠٩، إلى مجموعة أكبر من مقاييس الرفاهية. وتدعم منظمة الأمم المتحدة حاليا تقريرا سنويا بعنوان «تقرير السعادة العالمي»، وتسعى منظمة التعاون والتنمية في الميدان الاقتصادي من خلال مبادرة «من أجل حياة أفضل» لقياس مستوى الرضا بالحياة. وحتى الرئيس السابق لبنك الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي، بن برنانكي، أدلى بدلوه في هذه المسألة حيث قال في عام ٢٠١٢ إن «الهدف الرئيسي من علم الاقتصاد هو تفهم الرفاهية الإنسانية وتشجيع النهوض بها».

وقد ترقى لايارد ليشغل مقعدا في مجلس اللوردات، وهو المجلس الأعلى في البرلمان البريطاني، بترشيح من رئيس الوزراء بلير بعد أن قدم له لايارد المشورة بشأن سوق العمل. لكن نظير حزب العمال كان سريعا في إرجاع الفضل لرئيس الوزراء من حزب المحافظين «ديفيد كاميرون» لإعطاء

التوجيهات إلى مكتب الإحصاء البريطاني لقياس مستوى السعادة إلى جانب إجمالي الناتج المحلي. فقد قال كاميرون منذ فترة طويلة في مايو ٢٠٠٦، «آن الأوان لنعترف بأن النقود ليست كل شيء في الحياة، وأن الوقت قد حان لكي لا يقتصر تركيزنا على إجمالي الناتج المحلي فقط بل على وعلى الرفاهية العامة». وقد سلك عدد من البلدان هذا المنهج منذ ذلك الوقت.

علم هامشي

على الرغم من الزخم الذي وراء هذا الموضوع، فإن «غاس أودونيل» الاقتصادي الذي سبق أن ترأس مجلس الخدمة المدنية في بريطانيا، يقول إن الاقتصاديين الذين يدرسون موضوع السعادة الإنسانية لا يزالوا يكافحون من أجل نشر أعمالهم في الدوريات العلمية. ويقارن هذا الفرع من العلوم باقتصاد السلوكيات، الذي كان علما هامشيا أيضا منذ ٣٠ إلى ٤٠ عاما؛ واليوم هو من العلوم الرئيسية، كما أن أحد كبار مؤيديه، وهو العالم النفسي دانييل كانيمان، فاز بجائزة نوبل في العلوم الاقتصادية في عام ٢٠٠٢. ويقول أودونيل الذي يرأس حاليا مؤسسة "Frontier Economics"، وهي إحدى المؤسسات الاستشارية في لندن، إن «المؤلفات التي تتناول الرفاهية والسعادة لا تزال متأخرة قليلا عن اللحاق بالركب. وأتوقع لها أن تصبح عنصرا أساسيا في مناهج العلوم الاقتصادية في غضون ١٠ – ٢٠ عاما».

وأودونيل نفسه له كتابات عديدة في علم السعادة الإنسانية. وقد اشترك مع لايارد في تأليف تقرير عام ٢٠١٤ حول الرفاهية الإنسانية والسياسات، برعاية «معهد ليغاتوم» (Legatum Institute). (وشارك أيضا في هذا العمل آنغوس ديتون، الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد لهذا العام). ويرى أودونيل أن هناك صلة بين عدم الرضا بإجمالي الناتج المحلي كمقياس لجودة أدائنا في الحياة وازدياد الإحباط إزاء الأحزاب السياسية المنشأة، وخاصة في أوروبا. ويقول إن «الحوار السياسي يفتقر إلى أشياء كثيرة ذات أهمية بالغة في حياة الناس، وبالتالي يشعرون بالانفصال».

ويتمثل المصدر الأساسي لاقتصاديات السعادة في «مفارقة إيسترلين»، وهو مقال حاسم كتبه في عام ١٩٧٤ ريتشارد ايسترلين من جامعة ساوث كارولينا، ويفترض فيه أن الأغنياء في المتوسط أكثر سعادة من الفقراء، ولكن المجتمع من باب المفارقة لا يصبح أكثر سعادة في المتوسط مع ازدياد البلد ثراء. ويرى لايارد وغيره من الاقتصاديين في مجال السعادة الإنسانية، أن أحد الأسباب وراء ذلك هو أن الناس يعقدون المقارنة بين دخولهم ودخول المحيطين بهم. «فيكونوا أكثر سعادة عندما يكونوا أعلى درجة على السلم الاجتماعي (أو سلم الدخل)»، وفقا لما كتبه «جيفري ساكس» مدير معهد الأرض في جامعة كولومبيا في نيويورك، في تقرير السعادة العالمي لعام ٢٠١٢.

ويشير «ساكس» أيضا إلى أن مفهوم تراجع المنفعة الهامشية يعني أن المكاسب في الدخل يجب أن تكون أكبر مع ازدياد الدخل لتحقيق نفس المنافع. وهذا ما يفسر ما تشير إليه مؤلفات اقتصاديات الرفاهية من وجود علاقة واضحة بين الدخل والسعادة بالنسبة لأصحاب الدخول المنخفضة إلى المتوسطة، لتصبح ثابتة بعد ذلك، مثل المنحنى اللوغاريتمي.

تعاطف أكثر وتنافس أقل

الحياة من منظور لايارد ليست بأي حال مباراة صفرية النتيجة. فهو ميال تماما نحو الحماس المصاحب للتحديات، وخاصة بين المنظمات أو في الرياضة. ويود أن يرى كلية لندن للاقتصاد متفوقة على الجامعات المنافسة، كما أنه لا يزال يمارس رياضة التنس مرتين أسبوعيا. لكنه يتوقف عندما يتذكر شعارا لوزارة التعليم في بريطانيا «الحفاظ على الصدارة»، ويرى أن التميز الفردي عدو السعادة. ويقول لايارد «إنه من الضروري حقا أن يتوقف الناس عن

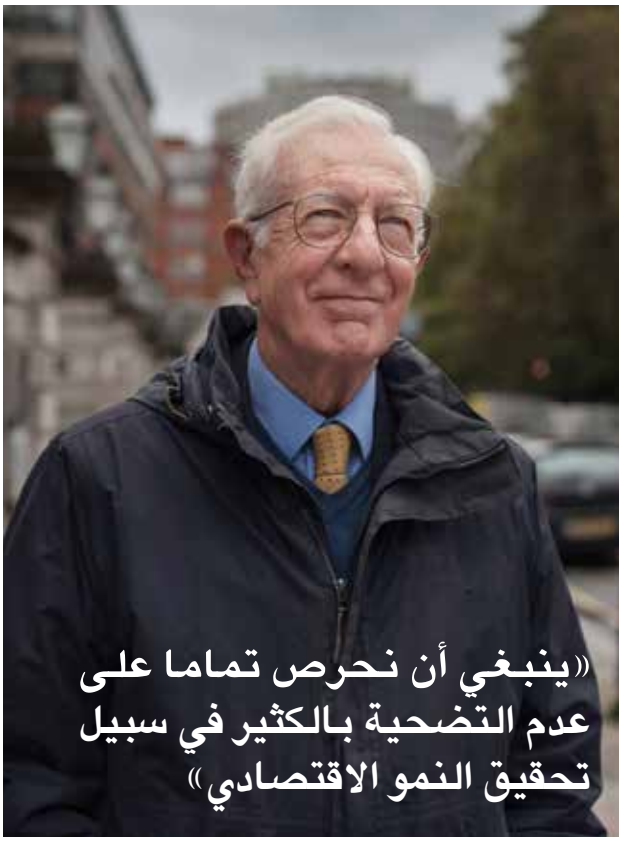

التفكير بأن وظيفتهم في الحياة هي إثبات أنهم أفضل من سواهم». والحل يتمثل في زيادة التعاطف بين الناس وتقليل التنافس، أي «ينبغي أن نعتمد منهجا في الحياة عامرا بأكبر قدر من المحبة».

وتتباين أساليب تحليل السعادة من شخص إلى آخر. ففي دراسة مؤثرة صدرت في عام ٢٠٠٨ قام الاقتصاديان بيتسي ستفنسن وجستين ولفرز من جامعة بنسلفانيا بإعادة تقييم تقرير «مفارقة إيسترلين» باستخدام بينات سلاسل زمنية جديدة. ولم يستبعدا أهمية المقارنة بين مستويات الدخل ذات الصلة، لكنهما توصلا إلى نتيجة مفادها «أنه يتعذر مطابقة الأدلة المستخلصة من سلاسل البيانات الزمنية، ككل، بالمزاعم السابقة بأن النمو الاقتصادي لا يعطي دفعة نحو السعادة».

ويقر لايارد بأهمية العمل الدقيق الذي قام به الاقتصاديان ستيفنسن وولفرز لكنه يرى أنهما لم يأخذا في الحسبان المتغيرات التي تتبدل مع اختلاف الدخل. ويذهب لايارد إلى أن العوامل مثل الصحة، والحرية الشخصية، وقوة الدعم الاجتماعي للناس هي بمثابة القوة الدافعة لجانب كبير من الارتباط بين نصيب الفرد من إجمالي الناتج المحلي والرفاهية. ويقول إن مستويات الدخل في البلد الواحد لا تفسر أكثر من ٢٪ من التباين في مستويات السعادة، حتى على مستوى أفقر البلدان.

وتعارض الاقتصادية البريطانية دايان كويل ما يذهب إليه المتحمسين لاقتصاديات السعادة الإنسانية من عدم وجود ارتباط موجب بين مشاعر الرضا في الحياة وإجمالي الناتج المحلي. وتقول في كتابتها إن «هناك بعض الأشياء التي يجد بعض الناس لديهم رغبة عارمة في الاعتقاد بأنهم لن يقتنعوا بما يخالفها مهما بلغ قدر الأدلة أو المنطق المتاح، ومهما كانت درجة ذكائهم. ويكفي القول بأن الجدل الدائر يبين مدى الحاجة لمزيد من البحث في أساليب القياس وأسباب التباين في مستويات السعادة على المستويين الشخصي والوطني.

ويعتبر لايارد جهوده حول موضوع البطالة — مع ستيفن نيكل وريتشارد جاكمان — من أجل وضع نموذج لما يعرف باسم معدل البطالة غير المتسارع (NAIRU) بأنها أهم اسهاماته في العلوم الاقتصادية (دراسة "Layard, Nickell, and Jackman, 1991"). ويأتي تفسيرهم للبطالة مختلفا عن الافتراضات بأن سوق العمل تنافسي بالكامل ويقترحون اعتماد نموذج قائم على تحديد الأجور عن طريق التفاوض أو أجور الكفاءة. ويقول لايارد إن هذا النموذج ظل فعالا بمرور الوقت. فهو يفسر، مثلا، السبب في انخفاض مستويات البطالة في ألمانيا، التي اعتمدت إصلاحات سوق العمل، أكثر منها في بعض البلدان المجاورة. ويقول لايارد «إن بلدان مثل فرنسا التي رفضت ببساطة أن تأخذ هذا الأمر بجدية لم يطرأ أي تغيير على معدلات البطالة الأساسية لديها».

والبروفيسور لايارد، الذي عمل لفترة كمستشار لبعض المؤسسات في روسيا خلال التسعينات بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، هو نصير قوي لمنهج «الجزرة والعصا» في معالجة مشكلة البطالة، أي بوضع سياسات فعالة لسوق العمل تساعد الناس في العثور على الوظائف، مع اقترانها بمدفوعات الرعاية الاجتماعية عند مستوى يشجع الناس على العودة إلى العمل. وجاءت شرطية «الحب الصارم» متوافقة مع آراء المعتدلين في حزب العمال مثل توني بلير، لكنها كانت منفرة لمؤيدي الحزب الرئيسيين من أعضاء النقابات العمالية. وتعرض لايارد للنقد الشديد أيضا من جانب المعلقين على السياسات في جناح اليمين داخل الحزب. فقد استنكر أحد محللي اقتصاديات السعادة من جريدة الديلي تلغراف البريطانية الاقتراحات التي قدمها لايارد بإعادة توزيع الدخل من خلال النظام الضريبي وتخفيض الأجر المرتبط بالأداء واصفا إياها بأنها «اقتراحات نفعية مرفهة» صادرة عن «اشتراكي عجوز من خريجي كلية إيتون». كذلك قام ناقد آخر بالهجوم على «رومانسيته الترفيهية».

وفي هذا الصدد، يقول أودونيل إن «ريتشارد دخل في مواجهات مع أشخاص من مختلف الأطياف السياسية من أجل تحسين مستوى رفاهية كل الناس. فهو مثابر بدرجة غير معهودة».

الصحة العقلية

وفي السياق نفسه، أصبح لايارد رائدا في علاج الأمراض العقلية، رغم الوصمة التي لا تزال عالقة بهذه المسألة في بعض الدوائر. ويقول «إن من الأمور المذهلة أن الناس ما زالوا يعتقدون أن علاج المصابين بالأمراض العقلية يقتضي تبريرا اقتصاديا، بينما لا يقتضي علاج الناس من الأمراض البدنية ذات التبرير. والدافع لديه في ذلك بسيط: أن المرض العقلي فيه من الأسباب المرتبطة بعدم السعادة في البلدان الغنية أكثر مما يرتبط بالفقر أو البطالة. فالمرض العقلي في بريطانيا يشكل أكثر من نصف كل الأمراض المصاب بها الناس دون سن الخمسة والأربعين. غير أن أقل من الثُلث يتلقون العلاج. والتكلفة هائلة — من حيث المعاناة الشخصية وما تتحمله المالية العامة. ويشعر لايارد بالفخر بدوره الفعال في إقناع الحكومة البريطانية بتدريب آلاف المعالجين النفسيين لتقديم العلاج النفسي لمن يعانون من الاكتئاب واضطرابات القلق المزمنة. ويقول «إنه مزيج مفيد حقا من العلوم الاقتصادية وعلم النفس الإكلينيكي».

وجاء انطلاق «برنامج تحسين فرص الحصول على العلاج النفسي» في عام ٢٠٠٨ ووصفته مجلة «الطبيعة» *(Nature)* بالمنافس العالمي، بعد اللقاء الذي حالفه حسن الطالع بين لايارد والعالم النفساني الإكلينيكي البارز ديفيد كلارك في حفل لتناول الشاي. ويصف لايارد البروفيسور كلارك بأنه رجل صاحب رؤية. واشترك الاثنان في تأليف كتاب بعنوان *"Thrive: The Power of Evidence-Based Psychological Therapies"* (الازدهار: قوة العلاج النفسي القائم على الأدلة) في عام ٢٠١٤. ويعرب البروفيسور لايارد كذلك عن تقديره للدعم «بالغ الأهمية» الذي قدمته زوجته، مولي ميتشر، التي شغلت منصب رئيس خدمات الصحة العقلية في شرق لندن. وبينما يشعر لايارد بالسرور إزاء استجابة الحكومة لهذه الجهود، فهو يرى أن هناك المزيد مما ينبغي عمله، وأن الموارد المالية محدودة. وقبيل إجراء المقابلة مع مجلة التمويل والتنمية كان يجري مكالمة هاتفية مع بعض المسؤولين الحكوميين اتسمت بالكفاح من أجل الحصول على ميزانية أكبر لعلاج الأمراض العقلية. فالعلاج النفسي هو الهاجس الذي يستحوذ على تفكير لايارد، وفقا لما ذكره أودونيل، حيث يقول ضاحكا «ربما يكون اختياري لهذه الكلمة ملائما في حالة ريتشارد لأنه لديه الكثير من الهواجس».

تغير المناخ

الموضوع الآخر الذي يشغل اهتمام لايارد في الوقت الراهن هو تغير المناخ. فالبروفيسور لايارد هو أحد الأطراف الفعالة في «برنامج أبولو العالمي»، وهو مشروع يهدف إلى توفير الطاقة المتجددة بسعر أرخص من الوقود الأحفوري في غضون عشر سنوات من خلال أنشطة البحث والابتكار المنسقة على المستوى العالمي والممولة من الحكومات.

ويقول لايارد أنه استشعر مخاطر تغير المناخ لدى مطالعة كتاب نُشر في عام ١٩٨٩ للكاتب البريطاني في مجال العلوم «فرد بيرس» بعنوان *Turning Up the Heat: Our Perilous Future in the Global Greenhouse*. وفي وقت لاحق، طالب لايارد بصفته عضوا في لجنة مجلس اللوردات البريطاني بإنشاء برنامج للبحوث بتمويل حكومي لمكافحة هذه المشكلة– مرتكزا بالتأكيد على المبادئ الاقتصادية. وفي هذا الشأن، يقول «كنت أرى، كما أرى حاليا، أن الطريقة المؤكدة لحل هذه المشكلة هي بضمان توفير الطاقة النظيفة بأسعار رخيصة بالقدر الكافي بحيث تتفوق في المنافسة على الوقود الأحفوري».

فالخطر الذي يمثله تغير المناخ على كوكب الأرض يمكن اعتباره مصدر خطر آخر، وبالغ الأهمية، أمام السعي لتحقيق السعادة والرفاهية الإنسانية الذي كان دائما بمثابة الشريان الممتد على مدار حياة لايارد العملية.

ويقول «جيوف مولغان»، أحد مؤسسي حركة «العمل من أجل السعادة» مع لايارد، إن الطريق لا يزال طويلا أمام السياسات الصحيحة لتحقيق الرفاهية الإنسانية. وحول ذلك الأمر، يقول مولغان، الذي شغل منصب رئيس وحدة الاستراتيجيات في حكومة توني بلير ويعمل حاليا مديرا تنفيذيا للمؤسسة الوطنية للعلوم والتكنولوجيا والفنون، وهي مؤسسة بريطانية غير هادفة للربح تعمل على تشجيع الابتكار: إن «ريتشارد بالرغم من ذلك أظهر في الفترة الأخيرة من حياته العملية رغبة عارمة في العودة إلى جوهر العلوم الاقتصادية، الذي كان يهدف دائما إلى تحقيق الرفاهية الإنسانية وإن ظل في أغلب الأحيان يخلط بين الغاية والوسيلة».

والبروفيسور لايارد واثق من أن حركة الرفاهية ستظل نابضة بالحياة: فهناك دائما المزيد من الناس ممن يرغبون في تفهم طبيعة العقبات التي تعترض طريقهم لبلوغ حياة مثمرة تحقق لهم الرضا.

ويثير هذا الأمر السؤال المؤكد عما إذا كان لايارد نفسه سعيدا. ويجيب قائلا «نعم بالطبع، على وجه العموم. فأنا أستمتع بحياتي فعلا. ولكننا بطبيعة الحال نمر جميعا بفترات صعود وهبوط. وهو ما يعود بنا إلى النقطة التي أشرنا إليها عن التحدي، أليس كذلك؟ فإذا كنت تسعى لتحقيق أمور معينة، لا يمكن أن تتوقع أنك ستكون سعيدا طوال الوقت، أليس كذلك؟ لأنها لا تتحقق دائما». ■

آلن ويتلي هو كاتب ومحرر اقتصادي، سبق له العمل مع وكالة رويترز، وهو محرر ومؤلف مشارك لكتاب «قوة العملات وعملات القوة» (The Power of Currencies and Currencies of Power).

المراجع:

Layard, Richard, Stephen Nickell, and Richard Jackman, 1991, Unemployment: Macroeconomic Performance and the Labour Market *(Oxford, United Kingdom: Oxford University Press).*